Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 3, No. 9, Sep. 2017

Published on Web 01/09/2017

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثالث ـ العدد التاسع، سبتمبر 2017م

الميثولوجيا اليونانية القديمة وأثرها في الفلسفة: من رؤى هوميروس وهسيود والنحلة الأورفية

د محمّد حسين محجوب

ملخص البحث:

يعني مفهوم concept الميثولوجيا Mythology، علم الأساطير؛ أي: العلم الذي يكون موضوعه دراسة الأساطير، في بنيتها، وميلادها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى. هذا البحث يحاول معرفة أثرها في قيام الفلسفة، كما يسعى إلى إبراز الأثر؛ الذي لعبته الميثولوجيا The Mythology اليونانية، في عملية نشأة الفلسفة في آسيا الصغرى بداية، واليونان بشكل عام، سواء كان هذا الدور بالجانب الايجابي؛ أو السلبي، بمعنى المساهمة الفعالة في بناء الفلسفة، أو التّحدّي Challenge المفترض، من قبل هذه الميثولوجيا؛ لإيجاد تصورات عقلية، تكون مبنية على منظومة من المبادئ، والأفكار تعاكس Disagree تلك التي تتحدث عنها الميتولوجيا، منذ صياغة ملحمة الإلياذة The Iliad المنسوبة إلى الشاعر اليوناني (هوميروس Homeros)

Ancient Greek Mythology and its role in Philosophy

Abstract:

This paper ties to shed light on the impact played by mythology in the emergence of the Greek philosophy, in ancient Greece and Asia Minor, being positive or negative, namely the efficient contribution in building philosophy or the challenge made by mythology to create conceptions based on a system of thoughts that disagree those created by philosophy. The historical framework of this paper covers the period starting from the emergence of Iliad and Odyssey of Homer, through the conceptions of Hesiod to Orphism.

مقدمة البحث:

في هذه المقدمة، سوف نجيب عن سؤالين هما: ماهي الميثولوجيا؟ وهل هناك من أهتم بدراستها؟ تعني كلمة ميتولوجيا، حسب بعض التعريفات "أي قصة مقدسة أو تراثية سواء كانت صحيحة أم خاطئة فالمصطلح ميثولوجيا إغريقية معناه دراسة الأساطير والقصص التراثية اليونانية التي تشكل جزءاً من ثقافة وحضارة اليونان القديمة يقول البرفيسور والكاتب البرتغالي(كارلوس سيا) في ذلك للمصطلح معنيان:

"أولهما: مجموعة الأساطير والكتابات الميثولوجية المتعلقة بكائنات فوق الطبيعة، والبشر الكاملين، وثانيهما: دراسة وتفسير هذه الأساطير. ويعتبر المصطلح حديث، نظراً لاعتبار الإغريق والرومان معتقداتهم دين، وليس كأساطير، وهي الحال نفسها مع الوثنيون الهلنستيون الجدد "[1] حسب النص السابق؛ يمكن وبثقة كبيرة التحدث عن دين، وليس أساطير في اليونان القديمة؛ ولكن فكرة الأساطير في ذاتها حديثة العهد، وربما عمل على تحديدها: اختيار أساطير بصفة الدين، واختيار أساطير، على اعتبار أنها تعلقت، أو عاشت على التراث الديني، بعد أن كانت أساطير في زمن ما، ولقد اهتمت العديد من المدارس، بدراسة هذا المفهوم منها: المدرسة الواقعية، والمدرسة الأنتروبولوجية وغيرها من المدارس.

المدرسة الواقعية:

ويمكن أن نعتبر، هذه المدرسة الأولى، التي اهتمت بدراسة الأسطورة: تقول فيها بعض المراجع العلمية ربما أشهر الباحثين هو (K.O. Muller)، الذي احتسب الأسطورة أحاديث مصورة لأحداث تاريخية واقعية، وتابعه في ذلك مع بعض الاختلافات الجزئية كل من (جاكسون Jachson) و (أولد نبرج Oldenberg) وهم

إلى حد كبير يتبعون المنهج اليوهيمري القديم، الذي اعتبر الأسطورة قصة أبطال حقيقيين.

المدرسة الثانية:

وهي تمثل من جاء بعد (ماكس موللر Max Muller) الذي ارتأى أن الأسطورة: صورة من صور الفكر؛ تحددت بوساطة اللغة، وهنا يتم الابتعاد عن التصور الأول؛ الذي يراها ممثلة للواقع الذي تتحدث عنه، ويعتبرها بناءات لغوية، عمادها اللغة، والخيال. ونتيجة لهذا الموقف، يرى بعض الباحثين أن (موللر) يدخل في دائرة الباحثين، الذين يرون استبعاد الأسطورة، برمتها من دائرة الدين بذل القبول بركام من القصص، التي تعزو إلى الآلهة كل نقيصة، في طباع البشر يقول في ذلك " من هؤلاء ماكس موللر، الذي يرى في كتابه (محاضرات في اللغة) ضرورة التفريق؛ بين الميثولوجيا، والدين، فيضع الأساطير خارج دائرة الحياة الدينية. فالدين عنده: هو المعتقدات، التي تقود حياة أخلاقية سوية، وتتبع عن لاهوت عقلاني، أما الأساطير فإنها: نمو عشوائي على هامش الدين، يجري تحت تأثير اللغة، ومن شيمتها الصاق نفسها، دوماً بالمعتقدات الدينية الأساسية، وافسادها. وعليه فإن الاعتقاد بالإله (زيوس) مثلاً هو: اعتقاد ديني، بمقدار ما يعمل هذا الاعتقاد، على رفعه كإله أعلى، وأب للبشرية، وحام للشريعة العادلة، أما ما عدا ذلك؛ وخصوصاً فيما يتعلق بمغامرات (زيوس) العاطفية، وزيجاته المتعددة، واختطافه لبنات، وبنين الناس، إلى قمة الأولمب، فهي مجرد أقاصيص، ينبغي ألا تؤخذ، على محمل الجد "[2] هذا التصور، للتمييز بين الأسطورة في داخلها، وتحديدها في إطار علاقتها، بالجانب الديني، لا يتسق وفهم الأسطورة، في زمن نشأتها في اليونان، ومدى نظرة الناس إليها، في ذلك الوقت، فالأسطورة؛ اليونانية أقدم من الدين، وأقدم من الفلسفة، وأقدم من، العلم فهي الأرض؛ التي نبت منها، وفيها كل الموروث اليوناني، عبر العصور، وجل الصراعات كانت

بينها، وبين المفاهيم الأخرى؛ التي ظلت تبحث عن هويتها، ولم تستطيع الحصول عليها، بسهولة، بسبب سلطة الأسطورة؛ ومكانتها في المجتمع اليوناني، حتى في مراحل التفكير شبه المنهجي الأولى، وخصوصاً مسألة تفسير وجود الكون، بما يحوي من ظواهر.

المدرسة الثالثة:

أما أكثر المدارس، أثرا فهي مدرسة " (إ. ب تايلور E.B.Taylar) أحد أعلام مؤسسي المدرسة الأنثروبولوجية؛ التي هاجمت المدرسة اللغوية، وذهبت إلى منهج: يجمع الأساطير المتشابهة، في مجموعات، للحصول على علم حقيقي للأساطير، مع مقارنة تلك المجموعات، بعضها ببعض. ومن أهم أتباع المذهب الأنثروبولوجي (هربرت سبنسر Herbert Spencer) صاحب فلسفة التطور، الذي رأى أن الأساطير: ليست سوى نصوص، من عبادات الأسلاف"[3]. وهي تحدد عبادات الأسلاف، وتضع لها الطقوس، والشعائر، وكيفية ممارستها. هذه من أهم المدارس، التي تطرقت لدراسة الأساطير. وسوف يتم، دراسة الإشكالية المطروحة، من خلال المحاور التالية: تصورات، هوميروس، المتمثلة في: ملحمتي الإلياذة، والأوديسة، كما أشارت إليه بعض الرؤى ، وبعض من تصورات هسيود في قصيدتيه: أنساب الآلهة، وقصيدته الأعمال والأيام، ونحلة الأورفية، وبعض الأساطير الأخرى. بعد هذه المقدمة، المختصرة، للبحث ندخل، إلى صلبه فنقول:

يسعى هذا البحث، إلى معرفة، وإبراز؛ الأثر الذي لعبته الميثولوجياThe Mythology اليونانية، في عملية نشأة الفلسفة، في آسيا الصغرى بداية، واليونان بشكل عام، سواء كان هذا الدور بالجانب الإيجابي، أو السلبي، بمعنى المساهمة الفعالة، في بناء الفلسفة، أو التّحدّي Challenge المفترض، من قبل هذه الميثولوجيا، لإيجاد تصورات

عقلية؛ تكون مبنية على منظومة من المبادئ، والأفكار تعاكس Disagree تلك التي تتحدث عنها تلك الميثولوجيا، منذ صياغة ملحمة الإلياذة The Iliad المنسوبة إلى الشاعر اليوناني (هوميروس Homeros).

أولا – من تصورات هوميروس: Homeros

هوميروس، هو مؤلف ملحمة (الإلياذة) و(الأوديسة) مع ملاحظة؛ وجود تباين في ذلك بين الباحثين، يتحدث بعض الباحثين، عن الملحمة الأولى؛ في مسألة الاسم (الإلياذة) والملحمة في سياق تاريخي فيقول " تعني كلمة إلياذة (ملحمة إلِيُون) وموضوع الملحمة حوادث وقعت أثناء الحرب التي نشبت حول مدينة إليون نحو سنة 1200 أو 1100 قبل الميلاد، أي سنة 1800 أو 1700 قبل الهجرة، والإلياذة هي أول الشعر القديم وأعظمه؛ وتقع إليون في الأرض المسماة طروادة، وتسمى حربها الحرب الطروادية. وأرض طروادة هي الزاوية الشمالية الغربية من الأناضول. البحر غربها ومضيق الدردنيل شمالها. وطروادة على بضعة كيلومترات من البحر شرقاً، ومن الدردنيل جنوباً، ولا تزال أطلالها ماثلة إلى اليوم "[4] في الإلياذة: ذكر للحرب، والطب، والدين، والقداسة، ولحركة السفن فهي ملحمة، بشكل خاص، وجزء مهم من الميثولوجيا اليونانية، بشكل عام أنها: صفحات من سجلات شعب، وتاريخ، وإضافة إلى الإلياذة فإن ملحمة الأوديسة Odessey " المنسوبة للشاعر الإغريقي هوميروس أيضاً، والتي يرجح أن ظهورها (الأوديسة) يعود إلى سنة 700 ق.م، يسرد فيها الشاعر: رحلات تيه الملك (أوديسيوس Odesseus) أو (أوليس) وعودته السعيدة إلى موطنه، في جزيرة إيثاكة Ithake التي كان قد غادرها قبل عشرين عاما، ليشارك في حملة ملوك اليونان، وجيوشهم، وأبطالهم في مواجهة طروادة "[5] ويصف (سارتون) الإلياذة بالقول: " فالإلياذة فريدة لاجتماع صفتي القدم والجمال فيها؛ وهذه الأشعار نظمت قبل معرفة الكتابة بين أهلها أو قبل أن تشيع، أي: شفاهاً، وساعد الشعراء المتجولون المتنقلون

على نظمها وإنشادها لإدخال المسرة والروح العالية في نفوس مضيفيهم "[6] وكذلك إنشاد، ما قبلها من تراث، وميثولوجيا، والتي كانت روافد، ومنابع استقى منها ذلك الشاعر العظيم؛ عديد التصورات، والأساليب التي خلدة أعماله، وجعلته في مصاف الكتاب؛ الذين دون اسمهم التاريخ، بحروف من نور ونار، ولقد مجد أحد الشعراء الرومان، مضمون ملحمة الإلياذة المنسوبة إلى (هوميروس) بالقول: " إن الإلياذة بتقديمها الأمثال عن عظماء وهم يعملون، تُعلِّم ما هو شريف وما هو شائن. وما هو لائق وما هو غير لائق أفضل مما يعلِّم كل الفلاسفة النظريين "[7] ، والاتجاه إلى الجانب النظري فقط، أو بدرجة كبيرة في الفكر اليوناني؛ سمة متأخرة قياساً بالميثولوجيا الإغريقية القديمة؛ كما نلاحظ استعمال مفاهيم مثل: الشائن Disgraceful واللائق Appropriate وهي مفاهيم؛ لها مصادر تحددها؛ الا تكون تلك المصادر أسطورة يوما ما؟ هذا القول (قول الشاعر الروماني) يشير بشكل بيّن، إلى الجانب التطبيقي في الحياة، وما يتعلق به من حكمة Wisdom وروية Deliberation عملية، تتمثل في البحث الفلسفي؛ في الأخلاق التطبيقية Ethics. ويقول (بارتلمى سانتهلير) عن الشاعر (هوميروس) وهو علم، من أعلام الثقافة الغربية.

"هوميروس الذي ولد وعاش يقيناً على شطوط آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام؛ وماذا عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفّي عبقريته مدحا وثناء؟ كل ما أقرر أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعمقهم فلسفة. وإن بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب العلم والتاريخ "[8] ويصف بعض الباحثين، الفترة الأدبية، التي يقع فيها أدب (هوميروس) بالقول " لم تسبقه نماذج تقود خطوات رواده العظام عندما شكلوا الملحمة والشعر الإليجي والأشكال المختلفة للشعر الغنائي والإيامبي والدراما. وكان هذا الأدب الخلاق في خلال نموه التلقائي والطبيعي على صلة بالحياة "[9] وهنا يمكن اعتبار وصف شعره،

على أنه له صلة بالحياة، بأنه يعبر عن العديد، من شؤون الحياة اليومية، ولم يقم بشكل كامل على الخيال. ويصف بعض الباحثين (هوميروس) بالقول " كان هومر Homer أول وأعظم الشعراء اليونانيين قد حدد صورة العالم الذي جاء فيه اليونانيون. ففي الإلياذة والأوديسا نجد تبايناً عظيما بين حياة الفلاح البسيط في القبائل الهيللينية الوافدة حديثاً، والحضارات القديمة الغنية والمعقدة، والتي اكتشفوها ليدمروها. وبقيت أشعار هومر كالإنجيل لليونانيين، مزودة إياهم بالقواعد العامة للإيمان بالآلهة والبشر وفنون السلام والحرب. وهي تتضمن من العلم القدر الذي يحتاج إليه الإنسان المتوسط "[10]. هذا القول، يعززه ما يذهب إليه " نفر من علماء الميثولوجيا، إلى أن أول الأعمال الأدبية الأسطورية، ولدت في المعابد، وهياكل الآلهة ! وفي مسألة حياة (هوميروس) نلاحظ هنا اختلاف، بين المؤرخين في مسألة حياة (هوميروس) النص الأول يقول: أنه عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، على حسب التقدير؛ والنص الثاني يقول: أنه عاش قبل الميلاد بألف سنة، بين هذين الرأيين، يوجد الفاصل الزمني، الذي لا يمكن الاستهانة به، في قضية تمحور الأفكار، وما يطرأ عليها عبر العصور، من تغير، وإضافة، وربما استبعاد لبعض الأفكار؛ الاتفاق هنا في أنه عاش قبل الميلاد. هذا الاختلاف، يفتح الباب أمام إمكانية القول، بأن العقل الجمعي اليوناني، ربما سأهم بشكل فاعل، في بناء تلك الملاحم، وربما استمر هذا العقل في عملية البناء، في المراحل العلمية، والفلسفية الأولى، وقد يمكن القول بأنه كان موجهاً، في فترات عديدة. وتذكر المراجع الزمن الذي وجد فيه (هوميروس) "الذي عاش تقديرياً في القرن الثامن ق. م ويرجح أن ظهورها (الإلياذة) يعود إلى منتصف القرن الثامن ق. م "[11] وتدخل هذه الملحمة، في الأدب الهيليني، وهو الذي يقع في الفترة ما بين " هوميروس وديموستينيس ويطلق عليه اسم الأدب الكلاسيكي؛ تلك التسمية التي تشير إلى المستوى الرفيع "[12] وقيل عنه لقد كان أدباً خلاقاً وغير مسبوق. وإن كان بعض الفلاسفة اللاحقين؛ قد انتقدوا جزءاً من المكوّن الثقافي، لذلك الأدب على الرغم من، اهتمامهم

به، ودراسته " وأفلاطون اهتم بالأسرار القديمة، ولام هوميروس لأنّه عزا إلى الآلهة انفعالات إنسانية ومناقص بشرية "[13] وفي هذا السياق، تذكر بعض المراجع، أن أهل اليونان، وأفلاطون؛ رفضوا فيما بعد، كل ما جاء في ملاحم هوميرورس، من استهزاء بالآلهة "ولهذا السبب رفض اليونان فيما بعد كل ما جاء فيهما (يقصد الإلياذة والأوديسة) حول الآلهة، فصرّح أفلاطون بتحريم تداول هذه الأشعار في جمهوريته لأنها تنافي طهارة الحياة وتتعدى على حقوق الله وتضرّ بالأخلاق العامة "[14] وفي مسألة الرفض، فإن ذلك يرتبط بالعديد من الأسباب مثل: رفض أفلاطون؛ الذي يقوم في جوهره، على رفض فكرة الديموقراطية، وكذلك رفض بعض الفلاسفة، الذي يقوم على تباين في وجهات النظر، في عديد المسائل مثل: الجوانب الدينية , ورفض العامة، الذي يأتي من التوجيه السياسي. وبقدر ما أثر شعر هوميروس؛ في اليونان بقدر ما تباينت الآراء حول شخصيته، وهنا أرى من الفائدة، أن أشير إلى تباين الآراء، حول شخصية (هوميروس) بشيء من الإيجاز

اختلف الباحثون، في شخصية هوميروس، إلى:

1- " فريق يذهب، إلى أنها شخصية وهمية؛ وان كل ما نسب اليه، انما هو امشاج من قصائد قديمة، لعدد من المداحين الشعراء؛ وجمعها أدباء اليونان، في القرن السادس أو الخامس ق.م وجعلوها صورتين طويلتين: الإلياذة Lliad، والاوديسا Odyssey ونسبوها إلى شخص من نسج الخيال، سموه هوميروس، ويعرف هذا المذهب بالمذهب الولفي، نسبة إلى الالماني ولف F.A.Wolfius الذي بز جميع من سبق في الانتصار، له وكان له فضل كبير في انتشاره، وفقاً لهذا الرأي فان الالياذة، والاوديسا استغرقتا حوالي 200 سنة، حتى تمتا وذلك من 750- 550 ق. م.

2- يرى آخرون انهما تمتا في نهاية القرن الثامن ق. م ويذهب هذا الفريق إلى القول بوجود هوميروس ويرون ان معظم ما في الملحمتين من تأليفه، ومن هؤلاء

(هيرودوت) و(فلوطرخس) "[15] هذا الفريق، يقدم الوصف التالي لحياة هوميروس " ولد حوالي القرن التاسع إلى العاشر ق. م وكنى بهوميروس بمعنى الرهينة لوقوعه أسيراً في حرب أو بمعنى الخطيب والمحدث لاشتهاره بالخطابة وبلاغة القصص أو بمعنى كفيف البصر، لأنه فقد بصره ولما يتجاوز سن الشباب كما أشار إلى ذلك في بعض أبيات الاوديسا وانه نشأ (بازمير) أو (سلاميس) أو (رودس) أو سواها "[16] في المقابل، فإن هناك من رأي أن هذه الملاحم، بما تتضمنه من استهزاء، واحتقار للآلهة، لا يمكن أن تكون قد كتبت في القرون السابقة، ويقدمون تبريراً منطقياً لذلك؛ يقولون " حمل ما جاء في هاتين الملحمتين (الإلياذة والأوديسة) حول الآلهة بعض المؤرخين على رفض إرجاع تاريخ تأليفهما إلى القرن الثاني عشر أو التاسع عشر أو السابع عشر ق. م والقول بأنه لم يكن في وسع الإنسان أن يهزل بالآلهة هذا الهزل إلاّ شاعر في القرن السادس ق. م ملمّ كل الإلمام بتشكك الأيونيين "[17].ويوصف هوميروس أيضاً بأنه شاعر الأرستوقراطية، وقد تغنى بالأبطال، والأمراء الأشراف.

وكما يقال؛ السهام لا تطال الأقزام، فالنقد دلالة على قيمة العمل، الذي يكمل بالنقد، إذا كان النقد بناءً، وفي مجال النقد، ربما يمكن هنا القول: بأن (موللر Muller) قد تابع (أفلاطون) في عدم رضاه على تصور (هوميروس) بخصوص الآلهة، وهو الأمر الذي دعاه إلى استبعاد الأساطير، من المعتقدات الدينية لاحقاً، وعدم الرضى عن هوميروس في مسألة الآلهة، وسلوكياتهم كما وصفها ليست وقفاً على (أفلاطون) من الفلاسفة القدماء، فهذا (اكسنوفان) يقول " ان كلاً من (هوميروس) و(هسيود) نسب للآلهة كل الاشياء المخجلة، والناقصة للبشر كالسرقة، والزنى، والخداع "[18] وتذكر بعض الرؤى، في مسألة الاستهزاء بالإلهة، أن الشاعرين (هوميروس) و (هسيود) يتفقان في ذلك الأمر" أن ما يجمع بين هذين الشاعرين (هوميروس و هسيود) هو هزلهما بالآلهة، فهسيود كهوميروس يعزو إلى الآلهة أفحش الصلات الجنسية "[19] وهذا النقد مبني؛ على الصورة البشرية؛ المرسومة للآلهة، في ذلك الوقت. عملت أشعار

ورؤى (هوميروس) من خلال ملحمتي (الإلياذة) و (الأوديسة) على وجود إرهاصات فن جديد هو ما وسم بالميثولوجيا.

ولقد قام هذا الفن؛ الميثولوجيا بما تتضمنه، على العديد من المقومات الفكرية، والقدرات العقلية، التي تسمح له بالتطور، وتعتبر في ذات الوقت، من الأسس الجوهرية، لتطوره يقول بعض الباحثين متحدثاً في ذلك " يعتمد تطور النظام الميثولوجي لثقافة ما على تطور ونضج اللغة وأساليب التعبير اللغوية، ذلك أن الأسطورة Mythe في صيغتها الشكلية، هي نوع من أنواع الأدب، بل ربما كانت أول أدب أبدعه الإنسان، والأدب لا ينضج إلا بنضج أدواته ولا يشب على الطوق إلا بتأصيل تقاليده "[20] ويرى بعض الباحثين، تميز الفكر اليوناني بها، في مقابل الشعوب الأخرى، ومن الأمثلة على ذلك تصور (دي لاسي أوليري Oleary) للخيال العربي، في مقابل الخيال اليوناني؛ يقول في ذلك " إن العربي الذي يُعَدَّ مثلاً أو نموذجاً مادي ينظر إلى الأشياء نظرة مادية وضيعة، وليس لديه مجال للخيار ولا للعواطف لا يميل كثيراً إلى دين، مَنْ أحسن إليه موضع نقمته لأن الإحسان يثير فيه شعوراً بالخضوع وضعف المنزلة وأن عليه واجباً لمن أحسن إليه "[21] وعند مناقشته، للعديد من الآراء، التي تسير على نسق (أوليري) يقول (أحمد أمين) " وخلاصة رأي (أوليري) أن العربي مادي ضيق الخيال، جامد العواطف شديد الشعور بكرامته وحريته، ثائر على كل سلطة، كريم مخلص لتقاليد قبيلته "[22] ويقدم (أحمد أمين) رؤية للأسباب التي دعت (أوليري) لهذا القول؛ أو التصور بضعف الخيال، وجمود العواطف قائلاً " أما ضعف الخيال فلعل منشأه أن الناظر في شعر العرب لا يرى فيه أثراً للشعر القصصي ولا التمثيلي، ولا يرى الملاحم الطويلة التي تشيد بذكر مفاخر الأمة كإلياذة (هوميروس) و(شاهنامة الفردوسي)، ثم في عصورهم الحديثة ليس لهم خيال خصب في تأليف الروايات ونحو ذلك "[23].وبقدر ما في هذه الآراء، من شدة، وما قد يكون فيها من صواب؛ فإن الواجب اليوم: أن يعمل

الباحثين، والأدباء، والكتاب، على توسيع هذه الاهتمامات الأدبية، وكل ما من شانه؛ توجيه الفكر، والخيال إلى الأبداع، ومواكبة التقدم العالمي في جل نشاطاته
ويمكن إجمال الأهمية الفكرية، في الفكر اليوناني من الملحمتين فيما يلي:

1- " نشأ في اليونان عن غزو الأخيين 1300- 1100 ق. م تخطيطهم للملكيات القديمة، ومراقبة السحر، وتحديده، وحرق الأموات، والتقليل من شأن الآلهة.
2- لغة الملحمتين تكشف، عن الطابع الثقافي للفكر الإغريقي، أعطى العقل مكانة أعلى، من الارادة، والعاطفة، وان أعمال الناس تعتمد بالدرجة الأولى على مستوى معرفتهم.
3- بدلاً من الاهتمام بالآلهة؛ نجد أن فكرة الضرورة، والقدر، هي المسيطرة في شعر هوميروس على البشر، وعلى الآلهة على حد سواء.
4- عند هوميروس؛ اصبحت الآلهة شخوصاً انسانية، لا تختلف عن البشر إلا بأن سائلا يجري في دمائها يضمن لها الخلود "[24] إضافة للملاحم الشعرية عند (هوميروس) و(هسيود) فللأسطورة دور، وأهمية كبيرة، في الميثولوجيا اليونانية؛ ولقد اشرت في المقدمة، إلى بعض المدارس التي اهتمت بدراسة الأسطورة، في العصر الحديث خصوصا، وأن هذا البحث يسير على النسق المدرسي؛ في دراسة مواضيعه، بحيث يوجد موضوع محدد، يكون هو محور الحديث أو الرؤية، لتلك المدرسة الفلسفية، محل الدراسة، وهذا لا يعني في ذات الوقت، عدم وجود مواضيع أخرى؛ ولكنها ليست محورية؛ مثل الموضوع الرئيسي (الميثولوجيا) بما له من أثر، في نشأة الفلسفة اليونانية؛ وبتاريخه الطويل، والقديم في الحديث عن الآلهة، ومكانتهم، ودورهم في خلق الكون، وكذلك دورهم ومساهمتهم في الحروب، التي تقع بين البشر، وأيضاً أثره في التفسيرات العلمية، التي قدمت في المرحلة الأولى، على يد مجموعة من علماء الطبيعة، والذين سموا بالفلاسفة، وقبل الاستطراد، بشكل

أوسع في الحديث، عن الميثولوجا اليونانية؛ أنبه إلى أن هذا البحث، يتبنى فكرة محددة، حول الموروث الثقافي في اليونان، وفي كل الحضارات، وهو اعتبار المادة الثقافية، في حالة وجودها في الفترة الزمنية موضع الدراسة، تعتبر جزء من تراث موقع الدراسة، ولا يعمل على إرجاعها للسياق التاريخي، الذي ولدت فيه، أو جاءت منه، ومن الأمثلة على ذلك: نظرية التناسخTheory Of Metempsychosis التي تذكر المراجع، أن أصلها مصر ثم انتقلت إلى الهند، واليونان بعد ذلك، تقول المراجع العلمية، في هذا الشأن " وتعبر الفكرة البدائية لنظرية التناسخ جسرا زمنيا طويلا حتى تظهر عند قدماء المصريين بمفهوم فلسفي أكثر تطورا. وقدماء المصريين على ما هو معروف أصحاب أقدم المعتقدات الدينية المتكاملة. فقد كانوا يؤمنون بأن ثمة حياة ثانية للإنسان في عالم آخر، وأن الروح باقية إلى أن تعود إلى أجسادها عندما يحين الوقت الي أن يستأنف فيه الميت حياته الثانية "[25] واما بخصوص عملية النقل، من مصر إلى العديد من الأماكن في العالم، فإن التجارة كانت وسيلة لها الدور البارز في ذلك، كما في نقل الأديان ومن الأمثلة على ذلك: انتقال الدين الاسلامي، إلى الصين عن طريق تجارة الحرير، الذي كان يسمى طريق الحرير، وكذلك كما في تأسيس بعض المدارس الفلسفية الرواقية، مثلا تقول المراجع العلمية في ذلك " ويبدو أن طرق التجارة التي كانت تربط مصر الفرعونية بكثير من بلاد الشرق في الزمن القديم كاليمن والصومال والهند وإيران والعراق كانت من العوامل الهامة التي ساعدت على ارتحال هذه الفكرة بصورتها الفرعونية إلى تلك البلاد "[26] ويقوم موقف؛ اعتبار المادة الثقافية المنقولة، جزء من الحضارة التي وجدت فيها؛ لأن العديد من النظريات التي تُنقل لا تبقى كما هي، ولكن يحدث لها العديد من التغيرات، التي تتوافق والرؤى السائدة في المجتمع المنقولة إليه. ونظرية تناسخ الأرواح من أوضح الأدلة على ذلك. ولقد كان لهذه النظرية؛ أثر كبير في الفلسفة اليونانية الناشئة، سوف يتضح لاحقاً، وفي هذا المقام تسمي بعض المراجع

العلمية ثقافة تلك الفترة (فترة ميلاد ووجود الميثولوجيا) بالثقافة الكلاسيكية، وهي الواقعة بين القرن الثاني عشر والقرن السادس قبل الميلاد، وهي بؤرة الدراسة في هذا البحث تقول في ذلك " قامت في الأرض اليونانية ما بين القرن الثاني عشر والقرن السادس قبل الميلاد ثقافة موحدة استوعبت المعارف الموجودة واضافت إليها الكثير جدا من عندها وما نتج عن ذلك نسميه الآن ثقافة كلاسيكية والتي توسعت إلا أنها لم تتأثر جديا بثقافة الاسكندرية وروما وقد بقيت حجر الزاوية لثقافتنا في العالم الحديث "[27] مسألة التأثر من عدمه، تحتاج إلى دراسة جادة، لتدليل على مصداقية هذا الرأي، من عدم صدقه؛ وهو موضوع يحتاج، إلى إمكانيات شتى أهمها من وجهة نظري الموضوعية، وهو أمر ليس هين، ولكنه قد لا يكون مستحيلاً؛ أتمنى أن يقوم به باحث موضوعي، في يوم ما، وفي مجال الحديث عن الميثولوجيا، بما تتضمنه من الأساطير Mythos، والأدب وبما يمكن تسميته بالتراث، فإن العديد من الباحثين يرونه الحبل السري، بين الأمة وحاضرها، ويجب المحافظة عليه، وتوظيفه، والاستفادة منه، يقولون في ذلك " إلقاء التراث القديم في سلة مهملات التاريخ سيكون جريمة لا تغتفر بكل المقاييس، سواء كانت تلك الدعوة مقصودة أم بحسن نية، من حيث كونها تساهم في قطع الحبل السري لهذه الأمة برحمها الأصيل، وربما جاز القول: إن قطع الحبل السري The Umbilical Cord يعني نضوج الوليد وخروجه لحياة جديدة وحقيقية، ولكن هذا القطع سيكون في هذه الحال قطعا لجذره الرؤوم، والذي يمكن لو بقى عل الأقل للفحص والتحليل أن يكشف لنا عن أوجه الوراثة الجينية وملامح التشابه الأصيل وما إذا كان التوريث سائداً أو متنحياً "[28]. هذه الأهمية، للحبل السري في البحث الطبي، ثم اكتشافها في الفترات القريبة، وعن طريقه كما يقول العلماء؛ يمكن معالجة العديد من الأمراض، التي توصف بأنها وراثية. ومنه أيضا يمكن الاحتفاظ، ببعض الخلايا الجذعية Stem Cell، التي تقوم عليها عديد الأبحاث، في الوقت الحاضر في الدول المتقدمة.

ونعود للميثولوجيا، وما تقوله بعض المراجع عن دور الأسطورة، وطرحها لبعض التصورات مثل: تصور الخير " ليس بمقدورنا أبداً توفير حجة مقنعة تكون بمثابة إجابة عن الأسئلة التي تثار حول تكوّن العالم الذي يبنى على مبدأ الخير. وهكذا فإن الأسطورة، بفاعليتها الخاصة، تنال فرصتها؛ بدلاً من ذلك، أي الرفض وقد حاول (أفلاطون) نفسه أن يوضح الملاحظة التحذيرية؛ التي ترى أننا مع الأساطير، لا نتعامل مع مجرد قصص، بل إن هناك تصورات، وتأملات منبثة فيها، ولذلك فهي على نحو معين، توسيع للمحاججه الجدلية؛ أي إنها توسيع في اتجاه يتعذر فيه الوصول إلى التصورات، والدليل المنطقي "[29] وهنا نشير، إلى أن البداية في هذا البحث، كانت بالحبل السري للثقافة اليونانية من خلال ميثولوجيا هوميروس Homer كما سوف نشير إلى، رؤى هسيود، ورؤى نحلة الأورفية، إضافة إلى ذكر بعض، من رؤى الشعراء الأخرين. الذين ساهموا في تلك الملاحم والتي يعبر عنها من خلال الإلياذة، والأوديسا، وشعر هسيود، ونحلة الأورفية. هذه الملاحم الشعرية، التي تعد من المكونات الجوهرية للميثولوجيا اليونانية، والتي يقول عنها (برتراند رسل) " انه في وقت ما من القرن السادس ق. م اصبح الشعر الهوميري في وضعه النهائي؛ وقد ادخل الشعر الهوميري في صورته الحالية إلى أثينا بواسطة بستراتوس 560- 527 ق. م طاغية أثينا في القرن السادس ق. م. ويرى (سنكلير) ان الحوادث المذكورة في الشعر الهوميري بقدر ما يتعلق بتاريخيتها حدثت معظمها حوالي 1200 ق. م. ولكن الشعر نفسه كتب بعد ذلك "[30]. بعد الحديث عن رؤى هوميروس وأراء بعض البحاث فيه ننتقل إلى علم آخر من اعلام الميثولوجيا اليونانية أنه الشاعر (هسيود).

ثانيا – من رؤى هسيود Hesiode

ومن أبطال الملاحم الشعرية، في اليونان القديمة (هسيودHesiod) " الذي سجّل في أشعاره أنساباً للآلهة وتغنَى بربات الشعر ووصف مولد العالم من العماء الذي تقدّم

على كل شيء، فاقترب بذلك من فلسفة الأيونيين الطبيعية. تغنَى في أشعاره بالفلاّحين، والرعاة، أبناء طبقته"[31] وتنسب العديد من المراجع الفلسفية، والأدبية له كتابة عدة قصائد شعرية منها:

1- " قصيدة أنساب الآلهة The Theogony:

الكلمة اليونانية هي La Therogonia، وهي متكونة من كلمتين Theos بمعنى اله Gones نسب، أو نسل. والرأي متضارب، في صحة نسبة هذه القصيدة إليه في المقابل فإن علماء فقه اللغة متفقون، على ان هذه القصيدة، وكذلك قصيدة الأيام والأعمال، يرجع تاريخهما إلى ما بعد (هوميروس)، وهم يميلون إلى وضع زمن أصل الآلهة لاحقا للأعمال. ويرى (ييجر) الباحث في التراث اليوناني، ان الدليل على ان المؤلف لكليهما واحد، هو التناول اللاهوتي المحتوى للمشاكل الحياتية والأفكار العملية، أي محاولة تفسير حقائق موضوعية خلقية واجتماعية تفسيراً اسطورياً، كما يتضح من تناوله للشر والمرأة والتاريخ البشري "[32] في هذه القصيدة؛ التزام بشيء من التنسيق المنطقي، بحيث يخضع عالم السماء لقانون الارتقاء، ويتجه في تعاقب طبقاته نحو الكمال، وتظهر كل طبقة من طبقات الآلهة في صورة أدنى، إلى الكمال من الطبقة السابقة لها. هنا يمكن القول، بأن التناسق الفكري، أصبح يتمحور في ذاته، لكي يضع في دائرته الأشياء الخارجة عنه، لتتمحور مع التقدم الفكري، في مفهومي الذاتية، والموضوعية.

2- قصيدة الأعمال والأيام " يرى البعض انها القصيدة التي لا يجادل أحد في انها من شعره. بينما يعتقد قسم آخر ان كثيراً من التحريف والاضافات دخلت على القصيدة وان كان القسمان الأول والثاني من القصيدة هما من عمل (هسيود). ومجموع أبيات القصيدة 828 بيتاً. وتنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: عظة لأخيه الأصغر برسيس.

الثاني: مجموعة من القواعد الزراعية والملاحية.

الثالث: مبادئ أخلاقية دينية.

الرابع: تقويم للأيام السعيدة والمشؤومة "[33] هذه المواضيع الأربع، التي يتحدث عنها (هسيود) لم تغادر البحث الفلسفي، منذ نشأته، ومنذ فكر الإنسان فيها؛ قبل أن يحدد مواضيع بحثه، وقبل أن يصل، إلى ما يسمى اليوم، بمنهج البحث العلمي. على ذلك يمكن القول؛ بأن للفلسفة جذور يعود أصلها إلى الميثولوجيا، وإن لم تحدد؛ كما حددت فيما بعد.

وهو الذي (هسيود) وصف الحياة الاقتصادية، في اليونان في ذلك الوقت بالقول " يصف هذه الحياة بتعبيرات بشعة للغاية فهو يصف ارض أبيه (أسكرا Ascra) في بويوتيا Boeotia بأنها باردة شتاء، حارة صيفا، وليست جيدة في أي وقت "[34] وتؤكد ذلك الوصف، توصيفات غيره لكثير من الكتاب، الذين جاءوا من بعده، وبهذا تبتعد حضارتهم (الشعراء، والكتاب، الذين يشار لهم، في هذا البحث) عن الحضارة السابقة لهم زمنياً، وهي الحضارة Civilization المسينية، بسبب اختلاف المقومات، التي كانت تقوم عليها الحضارة السابقة، والمقومات التي سوف تقوم عليها الحضارة اليونانية، كما تذكرها ميثولوجيا (هوميروس) و(هسيود) وغيرهم من الشعراء، في ذلك الوقت، والتي يرى بعض الباحثين أن هناك قطيعة Dogmatism داخل الحضارة اليونانية، إذا ما دمجنا تلك الحضارة في بوتقه واحدة، الأمر الذي يسوغه المكان، ولكن لا يسوغه الفكر، والزمان؛ الفكر تغير بما أثر عليه، والزمان لم يقف لصالح الفكر الماضي؛ ولكن الأمر المستغرب! أن تلك الرؤية ترى القطيعة في جل الأصول Principles، مع محافظتها على أصل Basis جوهري، ترجعه للحضارة المسينية، مع تأكيدها على نمط ما للعلاقة، بين الحضارة المسينية مع حضارات الشرق، هنا وصلنا

منطقياً إلى النتيجة التالية: أصل جوهري ظل ثابتاً في أرض اليونان، وعلاقة مع الشرق لم تنقطع في الحضارة ذات ذلك الأصل.

وأرى هنا من الفائدة أن نشير، إلى بعض من اراء (هسيود) قبل الحديث عن التواصل، بين حضارات الشرق، واليونان؛ من اراء (هسيود) ما يلي:

1- " حاول أن يقدم تفسيراً لنشأة الكون، والآلهة، يقوم على نوع من السياق المنطقي، والسببية، أي على أساس ان الجزء يخرج من الكل، وان ظهور الاشياء الطبيعية يقوم على اساس ملاحظة ما بينها من عليّة، والسبب قبل المسبب والاصغر يخرج من الاكبر، فاخرج الجبال من الأرض والأنهار من المحيط، فهذه أول محاولة في العلم الطبيعي

2- اظهر ان الآلهة على الرغم من كثير من الصفات الشائنة يهتمون بالعدالة ولا سيّما زيوس كبيرهم. وهذا فرق عن تصوير هوميروس للآلهة في الإلياذة

3- قدم تفسيراً تشاؤمياً للتاريخ عبر خمس مراحل: العصر الذهبي والعصر الفضي والعصر النحاسي والعصر البرونزي والعصر الحديدي "[35].

هنا نلاحظ ظهور مفهوم السياق المنطقي، والسببية، وظهور الكل، والأكبر الذي يحوي الجزيء، والأصغر هذا التصور في شكله السياقي دعا بعض الباحثين إلى القول (سنكلير) لاشك أنّ في قيمة كتابي (هسيود) أنهما " يحتويان على اقدم وثيقة مكتوبة تعبر عن الاستعمال الواعي للتفكير البشري في حل مشكلات المعيشة "[36] أنهما من ضمن الإرهاصات الأولى، للفكر الفلسفي.

وعودة إلى مسألة التواصل، تقول بعض المراجع، من أجلّ إثبات ذلك التواصل في الازمان الغابرة " بين الأعوام 2000- و1900ق. م اندفعت شعوب جديدة إلى اليونان القارية. تثبت بيوتها وفؤوسها الحربية وسلاحها البرونزي وأدواتها وخزفها الرمادي الميني Minyen المتميّز جداً، وخصائص كثيرة؛ القطيعة مع أناس وحضارة العصر السابق أي العصر الهلاّدي Helladique القديم البرونزي القديم. ثمة اندفاعة

موازية تظهر في الحقبة نفسها تقريباً في الجهة الأخرى من البحر مع وصول الحثيين الهندوا – أوروبيين إلى آسيا الصغرى وتوسعهم عبر هضبة الأناضول. وإن التواصل الثقافي والاثني على الشاطئ، في ترواد Troade الذي تمت المحافظة عليه خلال أكثر من ألف عام من طروادة الأولى إلى طروادة الخامسة؛ بدء طروادة الأولى بين 3000 و2600 انقطع فجأة (وهنا السؤال القائل ما هي عوامل الانقطاع هل الثقافة المهاجرة أم السياسة الجديدة للحكام هذا على اعتبار وجود القطيعة) إن الشعب الذي بنى طروادة السادسة 1900 ق. م وهي مدينة أميرية، أغنى وأقوى من أي وقت مضى قريب جدا من الشعوب المينية في اليونان فقد صنع الخزف الرمادي نفسه المشغول في المخرطة والمشوي في أفران مقفلة والذي انتشر في اليونان القارية وفي الجزر الأيونية وفي تساليا وكالسيديا "[37] وفق النص السابق، فإن التواصل الثقافي في اليونان، ظل متصل إلى حين قدوم الهجرات الجديدة، على الجانبين على ذلك يمكن إسناد القطيعة الثقافية، أو تكوّن ثقافة جديدة، إلى الثقافات الوافدة، مع تلك الهجرات، وهذا يقوم على فرضية وجود لك القطيعة، ويبعد عملية تلاقح الأفكار ! وتقول المراجع؛ حول الهجرات التي جاءت إلى اليونان " وفي أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد أدت موجة جديدة من المهاجرين إلى نمو غير عادي للثقافة الكريتية. فشيدت قصور فخمة في كنوسوس Cnoddud وفايستوس Phaestos وأخذت السفن الكريتية تجوب البحر المتوسط من أقصاه إلى أقصاه "[38] في كل هذه الفترة كان التواصل مستمر بين اليونان وحضارات الشرق؛ والذي يهمنا هنا بالدرجة الأولى هو التواصل الثقافي والمعرفي لم ينقطع في اليونان. وتزعم تلك الرؤية (القائلة بالقطيعة) في ذات الوقت أنه بعد (هوميروس) وجدت القطيعة مع تلك الحضارات. تقول الرؤية " إن العالم اليوناني الأكثر قِدماً، كما تذكره لنا الألواح المسينية، يتقارب في الكثير من خصائصه Characteristics مع ممالك الشرق الأدنى المعاصرة له كما تكشف لنا الكتابات B في كنوسوس وبيلوس أو ميسينا، وكذلك السجلات التي وجدت في أوغاريت وألالاخ وماري أو في هتوز الحثية

النمط نفسه من التنظيم الاجتماعي وطريقة حياة متشابهة وإنسانية قريبة. إلا أن الصورة Form تتغيّر عندما نتصدى لقراءة (هوميروس): فثمة مجتمع آخر وعالم إنساني مختلف يكتشف نفسه في الإلياذة، كما لو أن اليونانيين لم يعودوا يستطيعون منذ عصر (هوميروس)، أن يفهموا بدقة وجه الحضارة المسينية التي كانوا يرتبطون بها، والتي كانوا يعتقدون أنهم يبعثونها من الماضي عبر الشعراء المنشدين. إن الدين Religion والميثولوجيا في اليونان القديمة يجدان جذورهما Foundations بصورة مباشرة في الماضي المسيني، ولكن القطيعة كانت عميقة Indepth في مجالات أخرى "[39] وهذا الوجود للدين؛ يدلل على مدى تعمقه في وجدان البشر، كما يعبر في ذات الوقت على قدرة الميثولوجيا بما تملكه من المكونات، على نقله، والمحافظة عليه عبر الاجيال، أنها تدور حوله، ومنه تستمد جذوتها التي تعطيها الحياة، وبها يتعمق في رؤية الشعوب ويعتقد (روبرتسون سميث W.R.Smith) " أن الأساطير القديمة كانت بمثابة الاعتقاد الديني، لأن التراث المقدس كان يتخذ شكلا قصصيا بدور الآلهة ويقوم في الوقت ذاته بتفسير الأفكار الدينية وتوضيحها بشكل أبسط، بحيث كانت الأسطورة جزءا من بنية الدين وطقوس العبادة، لكنها لم تتخذ صفة الإلزام Obligation "[40] هذا التصور يجد الآراء المعارضة، التي تنبع من أسس بناء الميثولوجيا، والأساطير في ذاتها تقول الآراء المعارضة " إن الثقافات التي وصلت لغاتها إلى مراحل متقدمة كفيلة بالتعبير عن أدق المجردات، واغتنت وتنوعت لديها أساليب الصياغة الأدبية، تتكاثر عندها الأساطير وتتضخم إلى درجة تفوق حاجات معتقداتها الدينية، وهذا ما يؤدي في النهاية إلى تحول نوع من الأساطير إلى مجرد أدب دنيوي يعيش على هامش الدين ولا يتصل به إلا أوهى اتصال ومثالنا الأوضح على ما نذهب إليه هو الميثولوجيا الإغريقية؛ نستطيع تمييز ثلاثة أنواع من الأساطير؛ فهنالك نوع يتصل بالديانة الإغريقية اتصالا صميماً ويشكل جزء من بنية المعتقد الديني، وهنالك نوع ثان قد ضاعت صلاته الدينية حتى لا نكاد أن نتبينها، وهنالك نوع ثالث استقل عن الدين واستمر كأدب دنيوي لا علاقة له

من قريب أو بعيد بالحياة الدينية رغم امتلاء قصصه بالشخصيات الإلهية والشيطانية من كل نوع "[41] الملاحظ وفي جل الأحوال، وجود دور من نوع ما وفي أسطورة ما، في الجانب الروحي لحياة الانسان، وفي مركزها الدين؛ إضافة إلى ما قدمه شعر(هوميروس) و(هسيود) و(الفيوس) " الذي غنّى الخمرة؛ والشاعرة (سافو) التي عظمتها بلاد اليونان، بأجمعها وأحبت شعرها (فصولون) أعجب شديد الإعجاب بأغانيها و(سقراط) كذلك. أما (أفلاطون) فاعتبرها ربة الشعر العاشرة "[42] وتذكر المراجع العلمية؛ أن الشاعرة (سافو) " أنشأت مدرسة للفتيات وعلمتهنّ الشعر والموسيقى والرقص فكانت هذه المدرسة أولى مدارس صقل الفتيات في التاريخ كله ويذكر المؤرخون أنها كانت شاعرة نابغة بزّت الفيوس بشعرها الرقيق الرائع. إلاّ أن أشعار الفيوس وسافو لم تصلنا لأنها قد أحرقت جميعها، عام 1073 م بأمر من رؤساء الكنيسة في القسطنطينية وروما "[43] وفي عهد (بريكليس) " افتتحت أسبازيا التي وصلت إلى أثينة من ميليطس عام 450 ق. م أهم مدرسة لتعليم البلاغة والفلسفة، تتلمذ فيها كثير من نساء الطبقات العليا. واستمع إلى محاضرات أسبازيا رجال عديدون كان من بينهم بريكليس وسقراط الذي يقول إنه تعلّم منها فن البلاغة "[44] هنا نجد الرجال والنساء هنا نجد المجتمع اليوناني يبني الحضارة ويقيم البناء مهما كانت اخطائه وهفواته التي تقال عنه فيما بعد في زمنه كان يبني وترك لنا ما بنى.بعد هذه الإشارة، إلى اعلام من الشعراء اليونان، ننتقل الآن لنحلة كان لها كبير الأثر، في الميثولوجيا، والفلسفة اليونانية، وهي نحلة الأورفية.

ثالثا– النحلة الأورفية:

تعتبر نحلة الأورفية؛ من الأركان المهمة في دراسة الميثولوجا اليونانية، التي تتضمن العديد من العناصر مثل: الشعر الهوميري من خلال أثره في بناء الفلسفة، وشعر هسيود ومن خلال أثره أيضا، وكذلك بعض النحل مثل الأورفية Orphic التي

وصفت بأنها " فكرة أثّرت في العلم لوقت طويل وظلت تقدّم عالماً مفتوحاً بشكل كامل من مشكلات البحث؛ الحركة التي ترجع إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ولكنها لم تكن موجودة بعدُ في زمن هومر "[45] أنه الزمن الذي يرى فيه الرومانسيون انطلاق الفلسفة. وتقول المراجع حول بعض أثارها لقد ظهرت في القرنين " الخامس والرابع ق.م مجموعة من الأناشيد عرفت بالاورفية أصبحت المرجع لاتباع الاورفية وعزيت إلى اورفيوس وقد نقل افلاطون من هذه المجموعة مراراً "[46]. وتصفها بعض الكتابات بالقول " هي نحلة واسعة الانتشار والتأثير، تتصل بالإله دينسيوس الذي كان في الأصل من آلهة تراقية، وهو اله النبيذ والجعة أو الخمرة فيما بعد؛ والأورفية نسبة إلى اورفيوس Orpheus الذي يرجح انه رجل حقيقي؛ من كهنة الإله دينسيوس. ويقال ان أحد العلماء جمع أغانيه حوالي 520 ق. م ويقال انه عاش قبل هومر بأجيال متعددة؛ وان كان الشعر الاورفي، وحتى أقدمه يرجع إلى فترة بعد هومر وهسيود، ولكنه لا يتأخر عن القرن السادس ق. م "[47] هذه النصوص، تتفق في أن مبادئ هذه النحلة تقوم على الجانب الديني، ومنه تنطلق لتحدد رؤيتها للعالم، وتتضمن هذه التعاليم رؤية كونية لمسألة الخلق تسير على النسق التالي:

خلق العالم: توجد عدة روايات عن قصة الخليقة الاورفية Theogony والرواية المعتادة هي التي اعطيت في Thaposdiae أو Epic Lays وتبدأ بكرنوس – الزمان – كأول مبدأ للموجودات.

خلق الانسان: تتكلم الروايات الأورفية على أصل الخليقة، والكتابات الأورفية الاخرى عن زيوس الذي نجا من ابتلاع كرونوس له كما فعل الأخير مع سائر ابنائه هو خوفا من ان ينازعوه الملك كبارا.

ثنائية الانسان: الجسم ليس سوى قبر وسجن للنفس، ولذلك فان جوهر التعاليم الاورفية تقوم على الخلاص من الجسد Ecstasy بمعنى Stepping Out والانسان مربوط إلى الجسد "[48] وتوصف الأورفية بأنها تعبر عن الطبقة الأدنى في المجتمع " هذه الأسرار أو النحلة تحمل تقاليد الطبقة الفلاحية الفقيرة التي عانت استغلال طبقة ذوي الأملاك الواسعة، وتعبر عن طموحاتها وتنسب إلى أورفيوس الذي يعتبره بعض المؤرخين شخصية أسطورية. إن ما تهدف إليه هذه الأسرار هو تهيئة الفرد للعالم الأخر الذي هو وحده حقيقي. إن السعادة لا تحصل في هذه الحياة، على الأرض، إن الحياة سجن وقصاص وعلى الإنسان أن يتحرر من هذا السجن "[49]. لو أردنا وصفها لقلنا؛ أنها الهروب من الواقع، الذي تتجه إليه العديد من التصورات الدينية، وربما هذا ما دعا بعض الباحثين إلى القول: بأن الدين أفيون الشعوب، وفي نطاق الميثولوجيا، والشعر، وتمجيد الدين، فإن هناك من الشعر ما يعارض الدين، ومن الأمثلة على ذلك شعر (يوربديس) " شاعر الفلاسفة الذي كان صديقاً حميما لسقراط والذي تأثر إلى حد بعيد بالسفسطائيين وبأنكساغوراس، فنشهد صراعا بين العقل مع دين الآباء والأساطير القديمة. فعقل يوربديس يرفض آلهة اليونان وما خلعوا عليها من صفات. ولهذا حمّله المحافظون تبعة نشر الكفر والإلحاد بين شباب أثينة. هو وصديقه سقراط الذي كان يقول إنه لا يتردد في أن يسير مشياً على قدميه ليشهد مسرحية من مسرحيات يوربديس التي منها: مسرحية هيبوليتس ومنها هذه الأبيات:

أيتها الآلهة، يا من أوقعته في الشرك، إني اقدف في وجهك كرهي واحتقاري

وفي مسرحية هكيبا يخاطب تلثيبوس زيوس بقوله: ماذا أقول يا زيوس؟ أأقول إنك تنظر إلى الخلق؟ أم إلى قولنا إن هناك جيلاً من الآلهة ليس إلاّ وهماً وخداعاً كاذباً نستمسك به ولا يجدينا نفعاً، وإن المصادفة دون غيرها هي التي تسيطر على

جميع مصائر البشر وفي مسرحية إلكترا يرى أن ما قيل بشأن الآلهة من أكاذيب وخرافات هو من اختراع الناس فيقول:

لا تقل إن في السماء زانياً وزانية، وآلهة مسجونين وآلهة سجانين...إن هذه الأرض أرض السفاحين قد خلعت على الآلهة ما تتصف به من شجع وشهوانية. والشر ليس مقره السماء... وهذه كلها أقاصيص ميتة آثمة من اختراع المغنين.

وفي موضع آخر ينكر وجود آلهة في السماء يقول: هل في الناس من يقول إن في السماء آلهة؟ كلا ! ليس في السماء آلهة. ليس فيها آلهة، لا تسمحوا لأحد هؤلاء الحمقى الذين غرتهم هذه الخرافات الباطلة أن يخدعكم ويضللكم هذا الضلال "50.

هذه الأبيات، التي أتينا على ذكرها، تعبر عن الصراع الفكري في اليونان في ذلك الوقت، ومدى تحكم الدين ورجاله، ومفكريه في توجيه الشعب، وخصوصاً العامة لصالح السياسة، والتدين من أجل الانقياد للحكام، والعمل لحياة أخري تكون بعد الممات، بعد هذه الإشارة، إلى نحلة الأورفية، وشعر بعض الشعراء؛ الرافضين للتصورات الدينية السائدة في عصرهم، ننتقل للأسطورة، وكل هذه المكونات، تصب فيما يسمى الميثولوجيا اليونانية القديمة.

الخاتمة:

من ما تقدم من رؤى كل من هوميروس و هسيود و رؤى النحلة الأورفية يمكن القول بأن الميثولوجية اليونانية[51]، تضمنت عبر تاريخها الطويل، جل الأفكار التي قام عليها فيما بعد البناء الفلسفي، ففيها الحديث عن: الخلق الكوني، وكذلك الخلق الإنساني، ومراحل خلق الآلهة، وكيفية تعاملهم مع بعضهم، ومع الناس وفيها ظهرت مفاهيم مثل: التسلسل المنطقي للأحداث، والضرورة، و فيها العظات الدينية، وفيها رفض الشعراء الفلاسفة للفكرة الغير صحيحة عن الآلهة، وفيها أيضاً فكرة القانون،

كذلك تضمنت هذه الميثولوجيا؛ الحديث عن: الاقتصاد، وطبيعة الأراضي اليونانية، وابرز مثال على ذلك ما كتبه (هسيود) عن أرض أبيه، وأشارت إلى الهجرات وما نتج عنها من قطيعة، بين الثقافة اليونانية ذاتها، أيضاً تضمنت الحديث عن: العلوم الطبية وكذلك العلوم الرياضية، وعلم الفلك، وأثبتت وجود علوم البحار، من خلال حركة السفن عبرها. وقد دللت الأبحاث الأثرية، التي أشار هذا البحث إلى جزء منها، على وجود أثر للحوادث التي كانت محور بعض الملاحم الشعرية، مثل: ملحمة الإلياذة، وعبر هذا المسار الطويل، تشير الميثولوجيا إلى التواصل المساري الديني، وأنه غير منقطع، حتى في حال وجود القطيعة المفترضة.

وباختصار يمكن القول:

1- الميثولوجيا اليونانية، هي مصدر القضايا الفلسفية، منذ قيام الفلسفة الطبيعية، في مدارسها الأولى.
2- جل العلوم كانت موجودة، ولكن ليس بالدرجة الكافية، من الوضوح، والتحديد
3- المنهج وليد هذه الميثولوجيا، ومعجزة العقل اليوناني، وأخذ وقتاً طويلاً حتى تبلور، في صورة قادرة على البحث العلمي
4- الصراع كان بين الفلسفة، و جل العلوم؛ ضد التصورات الدينية
5- وجد صراع بين بعض العلوم الطب مثلاً، والفلسفة، والسحرو استمر أمد بعيد
6- العديد من المفاهيم، كان مصدرها الميثولوجيا.

بكلمة مختصرة؛ الميثولوجيا أم العلوم، والفلسفة أخت العلوم، في صراعها من أجل إثبات هويتها.

المراجع:

[1] ميثولوجيا إغريقية – ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، ص 3

[2] فراس السواح " دين الإنسانية " دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثالثة، دمشق، سوريا، 1998 م، ص 65

[3] سيد القمني " الأسطورة والتراث " الطبعة الأولى، سينا للنشر، القاهرة، مصر، 1992 م، ص 27

[4] الحسني الحسيني معدّي " الإلياذة " ص 19

[5] الحسيني الحسيني " الأوديسة " الطبعة الأولى، دار الحرم للتراث، القاهرة، مصر، 2014، ص 5

[6] حسام محيي الدين الآلوسي " بواكير الفلسفة من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان " الطبعة الأولى، ص 227

[7] الحسني الحسيني " الإلياذة " ص 19

[8] أرسطو طاليس " الكون والفساد " ترجمة، أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2008، ص 6 .

[9] المُسلمي، مرجع سبق ذكره ص 8

[10] ج. د. برنال " العلم في التاريخ " مرجع سبق ذكره ص 178

[11] الحسيني الحسيني معدّي " الإليادة " الطبعة الأولى، دار الحرم للتراث، القاهرة، مصر، 2014، ص 5

[12] عبدالله حسن المُسلمي " كاليماخوس القوريني شاعر الاسكندرية " منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، 1973 م، ص 8

[13] عبدالرحمن بدوي " تاريخ الفلسفة في ليبيا " الجزء الثاني، ص 28

[14] حسين حرب " الفكر اليوناني قبل أفلاطون " الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1990 م، 113

[15] حسام محيي الدين الآلوسي " بواكير الفلسفة من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان " الطبعة الأولى، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش. م. م، ص 227

[16] الآلوسي ص 230

[17] حسين حرب " الفكر اليوناني قبل أفلاطون " ص 113

[18] الآلوسي ص236

[19] حسين حرب ص 113

[20] فراس السواح " دين الإنسان " منشورات علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثالثة، دمشق، سوريا، 1998 م، ص 64

[21] أحمد أمين " فجر الإسلام " كلمات عربية للترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، 2011 م، ص 43

[22] أحمد أمين " فجر الإسلام " ص 44

[23] أحمد أمين ص 46

[24] حسام محيي الدين " بواكير الفلسفة " ص 235

[25] مصطفى الكيك " تناسخ الأرواح " منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 1970 م، ص 14

[26] مصطفى الكيك " تناسخ الأرواح " مرجع سبق ذكره، ص 15

[27] ج. د. برنال " العلم في التاريخ " ترجمة، علي علي ناصف، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1981 م، الجزء الأول ، ص 177

[28] سيد القمني " الأسطورة والتراث " الطبعة الأولى، سينا للنشر، القاهرة، مصر، 1992 م، ص 20

[29] هانز جورج غادامير " بداية الفلسفة " ص 66

[30] حسام محيي الدين الآلوسي:" بواكير الفلسفة) ص 231

[31] حسين حرب " الفكر اليوناني قبل أفلاطون " ص 113

[32] حسام محيي الدين ص 247

[33] حسام محيي الدين ص 249

[34] ج. د. برنال " العلم في التاريخ " الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص 179

[35] حسام محيي الدين ص 265

[36] حسام محيي الدين ص 269

[37] جان بيار فرنان " أصول الفكر اليوناني " ص 10

[38] برتراند رسل " حكمة الغرب " الجزء الأولً 23

[39] جان بيار فرنان " أصول الفكر اليوناني " مرجع سبق ذكره ص 6

[40] سيد القمني " الأسطورة والتراث " مرجع سبق ذكره ص 24

[41] فراس السواح " دين الإنسان " ص 64

[42] حسين حرب ص 113

[43] حسين حرب ص 114

[44] حسين حرب ص 120

[45] هانز جورج غادامير " بداية الفلسفة " ص 50

[46] حسام محيي الدين ص 278

[47] حسام محيي الدين، ص 277

[48] حسام محيي الدين ص 283

[49] حسين حرب " الفكر اليوناني قبل أفلاطون " ص 45

[50] حسين حرب " الفكر اليوناني قبل أفلاطون " ص 117